أعشاب تبكي!

صادق الصائغ

بِلادٌ

بِلادٌ
بَلا حكْمَة
يَداهَا مُحمَّلَة بالذُنُوب
تَكْشفُ غطاءَ القَلْب
للغربَان
ومَخالِبِ النُسُورْ

ببَدلَة عَسْكَرِيَّة
وَصرّخَة مُرَقّطة
في سَاعَةِ فَجْر أحْمَر
إلى الحَرْب سَارَت
بين حيطانِ الكونكريت
والأسْيجَة
والبَنَادق
وتَحْتَ الأقْواس
عَلى إيقاعِ الموسيقَى
وقَرْعِ الطُبُول
ومِنْ قَلْبِها الدَاخن
بُكَاءٌ مُتَوَحِّش يَتَصَاعَد

وكَانَتْ مَا تزال نَائمَة تَمْشي
عنْدما ،في حَضْرَةِ اللهِ
اسْتَيْقَظَتْ
وَصَرَخَتْ فجأة:
إلهي
كَمْ أنا بَشعَة !!
كَمْ أنا خَائفَة !!!
كَمْ أنا وَحيْدة!!!

بِلادٌ
كَانَتْ تَتوهَّجُ
كَفتاة بَريْئَة
لَكنَّهاَ الآنَ هادئة
إلَى الموسيْقى تُصْغِي
عَيْناهَا
فَلِيْنتَان مُحْتَرقَتَان
وَقَلْبُهَا
غُبارُ مُتَلْفَزْ

أرْضٌ بَعيْدَة

هَذه الأرْضُ
التي تَضَعُ عَليْها أُذُنك
لا تَسْمعُ
بُكَاءَ اليَنابيْع
لا تَقْرأ الرَسَائل
وَ لا الرُقَمَ الطيْنيّة المَدفونة
في طبقاتها الجوفيّة السفلى
لا تدري لماذا أيامُها مُتشابهَة
وَعَقارب سَاعَاتهَا مُتوَقّفَة

هَذه الأرْض
لا تَعنيْها النهَايَات
ولا البَراهين
ولا تسْمَعُ الأنيْنَ القَادمَ
من مَقابرِها الجَماعيَّة المُجَاورَة

إنهَا أرْضٌ بَاردَة
بَعيْدةٌ
وليْسَ لَها عِلمٌ
بِهذهِ الأوْجَاع!!!

أرضٌ قَنوعٌ

أرضٌ قَنوعٌ
تَنْبشُ ذاكرَتها
بِحَوافر الخَيْل
وعن عَجيْزَتها
تَهّشُ الذُباب

من ثراها تَخرج
عُصُورٌ قَديْمَة
عصُورٌ منْقوعَة
برائحَةِ النَفْط
وَالبَول
وأسْمَاءَ القِدِّيسين

ولِمُواصَلَةِ النِسْيان
تَظَل
تَمْضَغُ العُشبَ
وتَتَجَشأ
وعن عَجيزَتها
تَهش الذُباب

———

السَفحُ الثاني من الجبل

في ذلكَ المكان
كُنا نتكاثَرُ
أشبه بِجَداول ضَرْبٍ صَغيرهْ
تُكْتَبُ
وتُمحى
وتَجْري في المُنْعَطَفات

بغناء الريْح
كُنا نُجففُ الغَسيْل
كانَ واحدُنا
يَقفُ علىَ الأسْلاكِ كَطَيرٍ
يَتَمَطَّقُ بعناده
حاكًا جَنَاحَيْه
بأعْمِدةِ الكَهْرَباء

وفي يَوْم ما،
وبطريقَة غامضَة
عَبَرنا الخَمْسَين
تَسَلَّقْنا طُرُقات عالية
صُعوداً باتّجاهِ المُنْعَطَفات
ثم هُبُوطا
نَحو السَفْحِ الثّاني من الجَبَل

هُناك
التَفَتْنا إلى الخَلف
إلى الطريقِ الذي سَلكْنا
إلى طُفُولتنَا
إلى أيامنا البَيْضاء
إلى زكَائِبنا المُبَعْثَرهْ
و درَّاجاتِنا الهَوائيّة المَرْكونَة
علىِ السَفْحِ الثاني مَن الجبَل
هُناك
كانَتْ قُلُوبُنا تَخْفقُ
ونَظراتُنا غَريبهْ
وكان هُناك
طَائرٌ صغيرٌ
يَتَمطقُ بِعِنادهِ
يزْهو
وَيَحكُ جَناحَيْه
بأعمدة الكهرَباء

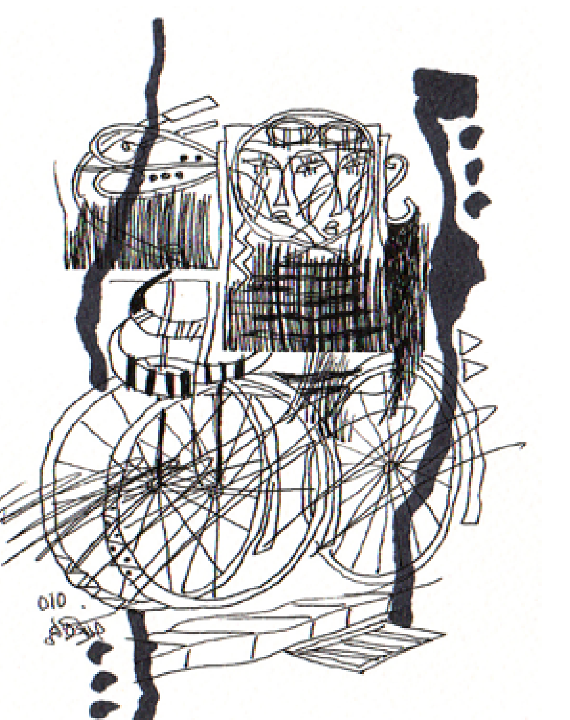

دور الكتّاب في الحياة العامة بأميركا اللاتينية

عادل العامل

يقوم الكتّاب الأميركيون اللاتينيون بدور فريد كمتحدثين عامّين باسم الناس هناك، كما شهدنا مؤخراً حين قاد الشاعر خافيير سيسيليا مسيرةً مضادة للعنف في مكسيكو سيتي بعد اغتيال ابنه، كما يقول ديفيد أنغر في مقاله هذا.

فمع وجود أمّية ما تزال طاغية ودكتاتوريات قمعية في الكثير من بلدان أميركا الوسطى و الجنوبية، من المتوقّع أن يتخذ الكتّاب موقفاً نضالياً تجاه حالات الظلم الاجتماعي و السياسي، و الدفاع عن المضطهدين ــ أولئك الذين لا يمكنهم التحدث أو الدفاع عن أنفسهم.

و لم يكن مدهشاً أن يقوم فائزون بجائزة نوبل مختلفون سياسياً مثل المكسيكي أوكتافيو باث، و الغواتيمالي ميغيل أنغل أستورياس، و التشيلي بابلو نيرودا، بخدمة بلدانهم كسفراء. كما انتُخب نيرودا، و هو شيوعي ملتزم، سيناتوراً في موطنه في ١٩٤٣. و بعد خمس سنوات أرغم بطبيعة الحال على الاختفاء في انقلاب بينوشيه اليميني، كما هو معروف.

و قد أدار ماريو بارغاس يوسا الفائز بجائزة نوبل لعام ٢٠١٠ حملةً قوية لرئاسة بيرو في عام ١٩٩٠، على الرغم من تحذير أوكتافيو باث بأن المفكّرين ينبغي ألاّ يسعوا إلى أي منصب حكومي.

كما كان لأوروبا نشاطاتها الأدبية في هذا الإطار ــ و في ذهني الآن الكاتب المسرحي فاسلاف هافل، الرئيس السابق لجمهورية التشيك، و الروائي ألكسندر سولجينستين في روسيا ــ لكن المسألة في أميركا اللاتينية تتّسم بالالتزام في ما يتعلق بارتباط الكتّاب.

و غالباً ما يُطلب منهم التوقيع على عريضة تناشد السلطات مثلاً إطلاق سراح سجناء سياسيين (كوبا، أو مناصرة زواج المثليين (المكسيك)، أو الدفاع عن حقوق النساء و الاحتجاج على قيود الإجهاض (الأرجنتين، السلفادور)، أو مساندة الناشرين الذين يكونون أكباش فداء أنظمة الحكم العسكرية.

و لهذه العرائض أو الالتماسات وزنها الكبير و يمكن أن تجعل الرؤساء خائفين تماماً، إذا ما كان من بين الموقّعين عليها بوجه خاص كتّاب بارزون مثل بارغاس يوسا، ألينا بونياتوسكا، غارسيا ماركيز، أو خوزيه ساراماغو.

أما في الولايات المتحدة، فالكتّاب مدافعون رائعون عن حقوق الإنسان و هم يكافحون بشدة من أجل إطلاق سراح المؤلفين الذين تضايقهم أو تسجنهم حكومات أجنبية (الصين، إيران) من خلال منظمات مثل PEN American Center. لكن الأمر غير هذا في الولايات، حيث يبدون و كأنهم يعظون جوقة مرتّلين، و لا يسعون أبداً بالتأكيد إلى تولّي المناصب العامة حيث يمكن أن يُحدثوا تغييراً بشكلٍ مؤثر. فكتّاب الولايات المتحدة، خلافاً لنظرائهم الأميركيين اللاتينيين، يمكن أن تُثبّط همّتهم عدم أهميتهم أو تُحبطهم المعالجة المسرورة و تعامل الغرف الخلفية اللذان يستلزمهما قبول موقع استشاري أو السعي من أجل منصب ما. و هم قد يشعرون، كما كتَب عزرا باوند ذات مرة، بأن الكتّاب و إن كانوا " هوائيات antennae الجنس البشري " ينبغي أن يظلوا مراقبين حاذقين، لكن في الخلفية و بعيداً على الدوام. و هم يمكن أن يطمحوا لأن يكونوا ملوكاً فلاسفة، يقدّمون آراءً و حلولاً أينما ذهبوا، لكنهم يفضّلون بالتأكيد أن يكونوا مكرَّسين أو ممسوحين بالزيت anointed.

و ليس لدى الكتّاب الأميركيين اللاتينيين مثل هذا الترف و يجب عليهم، بالتحديد، أن يكونوا ملتزمين بقضايا شعوبهم. و قد لا يكون الارتباط الناجم عن ذلك حسناً كثيراً على الدوام (مثل سعي بارغاس يوسا إلى الرئاسة)، لكن و بسبب التفاوتات الواسعة جداً في أوطاننا، ليس هناك من خيار آخر.

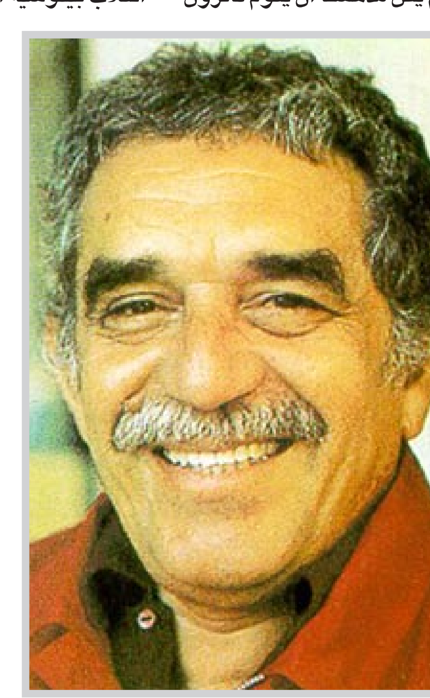

غارسا ماركيز

بارغاس يوسا

عن / Fox news latino

من البرج العاجي

خريف المثّقف العراقي

■ فوزي كريم

"الثقافة الأدبية" العراقية تتناضح، بصورة لافتة للنظر، مع إطارها السياسي. ولأن طبيعتها التي غلبت عليها أيديولوجيةٌ، فهي أصلب عوداً وعناداً من محيطها السياسي في هذا الأمر. أرفعُ درجات الاحتجاج التي صدرت عنها، في زمن العارفيْن في الستينيات، كانت بسبب استراحة الدولة من قبضة الأيديولوجيا. كان "مثقف الأدب" بالغ الانكسار، بالغ الإحباط، بالغ النزعة الهجائية بسبب ذلك. وحين هيمن البعث ثانية استردَّ "مثقف الأدب" معنوياته العالية. متوافقاً مع النظام، أو معارضاً له.

صعودُ صدام حسين إلى السلطة كان قفزة لم يألفها العراق من قبل، ولا "مثقف الأدب". لقد حقق معادلة غريبة تكون استطالةُ وجوده فيها تقزيماً لكل وجود سواه. "مثقف الأدب" أول المرشحين لهذا التقزيم. ولقد تقزّم بطواعية مدهشة.كتب الشعر والأغنية والرواية والمسرحية وسيناريو الأفلام والمقالة الصحفية عن القائد القادم من بحر الأساطير. كتبها باندفاعة بدت وكأنها إملاءٌ من قوى إلهام خارج قدراته. وكان الرضا الذي أحاط به النفسَ لا يُخفي احتقاناً يفيض منه، وهو ينظر بارتياب إلى من يحيط به.

أجيال "مثقفي الأدب" التي وُلدتْ، ونشأتْ تحت ظل الدكتاتور، جردتها حضانة الرعب من أية قدرة على رؤية النفس. إن تقزّمها الذي لا يخفى عن رقابتها، منحها فرصة أن تكون طيّعةً كقصَبة، وملونةً كحرباء. خرجت الأيديولوجيا هذه المرة بصبغة "ثقافة أدبية" خالصة لوجه الإبداع الخيالي. أمر لا شكَّ سيؤنسُ العينَ الفاحصة، لنظام لا يعرف من الأيديولوجيا إلا سحنتها السياسية.

"مثقفُ الأدب" هذا، صافحَ يدَ الدكتاتور الدامية بغير قناعة، ولكن برضا. وهو لم يهجر الدكتاتور إلى المنفى، ويعارضْه، ويتجرأ على شتمه، إلا بعد أن خسر هذا كلَّ قواه، وكلَّ أمواله، وتقزّم هو الآخر بدوره على يد قوى أعتى، وأكثر جبروتاً. مرحلةٌ بقي فيها "مثقف الأدب" على ما رُبّي عليه في حضانة الرعب: منقاداً إلى أهوائه، وتلوّن حربائه، ولكن بلا خوف، أو رقابة هذه المرة. لقد انتقلَ إلى أفق حضارة، كانت قبل فترة من الزمن عدوةً بامتياز. وهي اليوم حاضنة كريمة، لا تتردد حتى في تأليبه على إدانتها بحرارة، لكي يُرضي عقلَه المُعتقل،ويبدو بسحنة تراجيدية. وهل أيسر من إدانة الغرب، وتعداد مثالبه؟

هذه صورة تقريبية لـ"مثقف الأدب" العراقي، منذ ستينيات القرن الماضي حتى اليوم. شذَّ عن هذه الصورة مثقفو أدب على قدر من البصيرة، والعقل التنويري. ونواةُ هذا الوعي لا شك كامنةٌ في قدرة هؤلاء على فهم واقع الأفكار، وواقع النفس البشرية عبر مواجِهتهم النقدية لأنفسهم. صراعُهم مع أنفسهم كان مفتاحاً لفهم صراعهم مع التاريخ. إذا عرف واحدهم أنه ولد ونشأ تحت ظل ثقافة قمعية، أو زائفة فلا بد من أن تنعكس على تكوينه العقلي والروحي. الارتياب في النفس هو أولُ خيوط التنوير. وهو أولُ قاعدة لاستيعاب التكوين الإنساني الملتبس، داخل دوامة التاريخ الكاسرة.ولقد عرضتُ لهذا في أكثر من كتاب، وأكثر من مقالة. وكنت دائم التطلع إلى رفقة طريق في هذه المسيرة الحزينة.

محمد غازي الأخرس أحد هؤلاء بالتأكيد. وشاهدي على ذلك كتابُه، الذي صدر مؤخراً عن دار التنوير بعنوان "خريف المثقف في العراق". وإذا شاءت الأفكار أن تتفاوت قليلاً بيننا وتختلف، فإن العنصر العقلي، التنويري هو المحور الموحّد. إن الأجيالَ التي "يتأملها" الكاتب، ببصيرة لا تخلو من عطف، وبلا ضغينة، ممن يسميهم بـ"المثقفين"، هم "مثقفو الأدب" إن شاء الدقة. أبطالِ المعترك الأيديولوجي الذي غذّت دمويةُ الكلمات فيه دموية السلاح، منذ المراحل الانقلابية المبكرة من تاريخ العراق الحزين. "خريفُ" هذا المثقف قد يوحي، من عنوان الأخرس، بمرحلة ابتداء لشتاء مُقبل. على أني أراها مرحلة شتاء طويل لربيع مُقبل. العالم العربي يتغير من الجذور. العراق سيتأخر عن ركبهم، هو الذي بدأ مرحلة التغيير. ولكنه سيبدأ ربيعه حين تبدأ تخمةُ المتحرّق للسلطة تتحول إلى سموم. وحين يعي الناس إنهم ليسوا بحاجة إلى وسيط بينهم وبين ربهم. تغيرُ الناس يعني تغيرَ "مثقف الأدب". وليس العكس، كما يحاول "مثقفُ الأدب" أن يوهمَ النفسَ والناس.

الصورة لا تكذّب أحوال البصرة.. قراءة في أعمال مصوّر الفوتوغراف خالد خزعل مجيد

علي الحسيني

أحاول هنا، مراجعة أعمال مصور الفوتوغراف (خالد خزعل مجيد) التي سجلت مشاهد الحياة في مدينه البصرة، وقراها، وقصاباتها. وستكون المراجعة جمالية ترصد السمات العديدة التي تتوفر عليها أعمال المصور (خالد) والتي تدفع المشاهد للتأمل الخلاق ولدراستها ومطاولة محتواها الفني والإبداعي. مجموعة نقاط من خلالها سنكشف عما تخبئه لنا أعماله من محمولات جمالية تزخر بالتأويل ذي الدلالات المفتوحة.

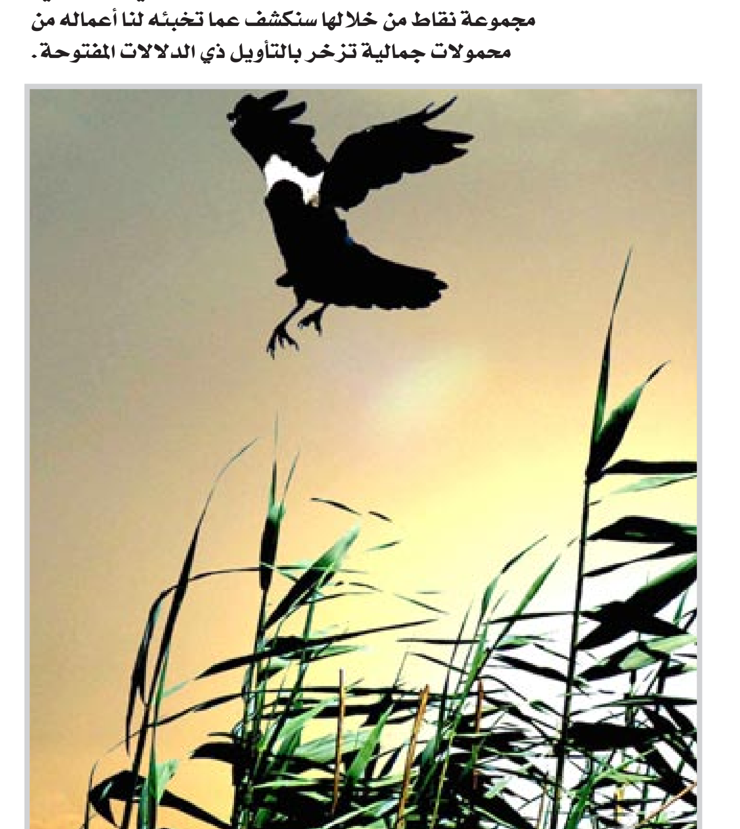

(١)

ثمة نقطة جوهرية وشرط أساسي لنجاح أي عمل إبداعي أو فني على نحو التخصيص، هو أن تتوفر لدى صاحب العمل رؤية تتسع لموقف شمولي من الحياة. فالصور الفوتوغرافية الجيدة – بحسب أنسل آدمز – ليست حادثا عشوائيا، إنما رؤية محمولة عن الحياة. وهذا ما يلامسه المصور (خالد خزعل) ،فقد اوجد لنفسه رؤية فنية عن الحياة، وثبت له وجهة نظر عن الموضوع الذي يصوره.

فهو لا يعطينا صورا تموت بعد حين، أو يلتقط صورا عابرة لا تحمل موقفا مسبقا، بل نستطيع أن نتأمل موقفا حياتيا ممتدا له في أي عمل فوتوغرافي قام بانجازه.

(٢)

لذلك، معظم الموضوعات التي اشتغل عليها المصور (خالد خزعل)؛ في الغالب كانت موضوعات كلاسيكية متكررة، سبق أن التقطتها عدسات المئات من المصورين المحترفين والهواة. من قبيل الأحياء، المحلات، الأزقة، حياة الصيادين، والفلاحين، حركة المراكب، والطيور المهاجرة، والنوارس في الشط والهور، جمال الطبيعة، والبؤس المتوغل فيها. لكن بالرغم من كلاسيكية تلك الموضوعات، فقد تميز (خالد) بالروح الإنسانية، التي هي الركيزة الأساس في كل أعماله الإبداعية. الطبيعة ومفرداتها حاضرة في غالبية صوره، لكنها كانت منطلقةً لأجل محاكاة أوجاع الإنسان وتطلعاته.

(٣)

يعتمد (خالد خزعل).وهذا ما نستشفه من أعماله.على الدراسة الشاملة والتأمل غير المنقطع قبل إخراج الصورة بشكلها النهائي، صوره تنم عن أفكار متجددة، وخيال مفتوح في التكوين والإضاءة. لعل بعض أعماله تجعلنا أمام مصور يعطي للصورة حياة أكثر مما تستحق.

(٤)

استطاع خالد الجمع بين أزمنة مختلفة في الصورة الواحدة. ففي صور الاهوار على سبيل المثال، يداعب ذاكرتنا من حيث الماضي بجمال الهور وطبيعته الفاتنة، لكنه أيضا من حيث الحاضر المعاش يدلنا، ويعرفنا بالظلم، والجور، والحرمان الذي لحق بهذه البيئة وبأهلها. كما يرسل لنا رسائل مستعجلة عما ينتظر ذاك العالم من مستقبل مليء بالرعب، والبؤس عند الاستمرار بتجاهله.

ففي صور الاهوار، شاهدنا الحياة بطبيعتها المفعمة بالبساطة، والبراءة إلى جانب الحزن، والحرمان، والأسى، وتطلعات للخلاص من الجحيم الذي يهمن على البيئة، والإنسان هناك.

(٥)

لعل الامتياز الذي تحظى به الصورة الفوتوغرافية لدى المصور (خالد خزعل)، إنها تدعونا لأكثر من تساؤل، وتدلنا على مشغل يحوي أسئلة هائلة ليس من السهل فضها، ثمة مغزى عميق وراء اللقطة، اللقطة عنده ليست مجرد لحظة من الزمن تم اقتطاعها، إنها تفتح الباب أمام تصورات لا حدود لها في خيال المشاهد. وهذا الامتياز يتضح أكثر في صور (السلوت) مثل ذلك: (صورة الغراب الهارب من النور والخضرة .

(٦)

ثمة سؤال قديم يدغدغ أحلام مصوري الفوتوغراف: هل يستطيع المصور الفوتوغرافي رسم لوحة تشكيلية بكاميرته؟. ما أعتقده، إن عدداً من أعمال (خالد خزعل) تكشف عن اقترابها من اللوحة التشكيلية. فهو يجيد التحكم بثنائية الظل والضوء من جهة، ويعي مستويات اللون المطلوبة، وأهمية تعدده في الصورة من جهة أخرى. ومثال ذلك أعماله الجديدة– (منزل الشناشيل)– التي يعيد من خلالها إنتاج الموضوعات المصورة.

(٧)

أعتقد أن المصور المبدع، هو الذي لا يجعلنا حبيسي زاويته التي أخرجت لنا لقطته، بل على العكس تماما، المبدع هو الذي يستطيع أن يوفر لنا زوايا عديدة، ليست الزاوية المرئية فقط، بل زوايا متعددة ليست مباشرة تسمح للمتلقي بالتأمل الخلاق (صور صغيرات الهور الحسان). فقط استطاع أن يرينا من خلالهنّ الحسن والجمال، إلى جانب البؤس والحرمان. ليست وجوههنّ فقط وجوهاً كالحة، مغبرة مطيّنة أحيانا أو في الغالب، بل أيضا وجوه باسمه، مرحة، فاتنة، وساحرة، وأملة.

كما استطاع المصور (خالد خزعل) أن يرينا زوايا جديدة لأشياء ألفناها، واعتدنا رؤيتها على أنماط ثابتة مكررة. ومثال ذلك: صورة لشط العرب، أعطانا من خلالها زاوية لم نستطع رؤيتها، وهي الشط الثائر الهائج على غير ما عرفنا عنه من هدوء، ومسالمة، وسكينة.

(٨)

إن (صور خالد خزعل) تثير الأسى، والغصّة فينا نحن البصريين لأنها تقول لنا، إن جمال مدينتنا لم نعد نراه إلا عبر زوايا ضيقة. فالبصرة بكل معالمها التي استطاعت عدسته الوصول إليها، كانت المحصلة أن جمالها لا يمكن رؤيته إلا من تلك الزوايا، بالرغم مما يبذله الفنان (خالد خزعل) من جهد لكي يعيد لنا الأمل في إمكانية عودة نبض الحياة مرة أخرى لمدينته التي شاخت وهرمت وهي تحتضر الآن. الصورة كانت أول انبعاث للتواصل قبل الحرف وقد استطاع (خالد خزعل مجيد) إدامة هذا الانبعاث.

———

سيرة مصور الفوتوغراف: خالد خزعل مجيد، مواليد البصرة:١٩٦٣
المعارض: سينوغرافيا الشط، الاهوار فضاءات للحرية، مختارات جنوبية/ كركوك،أربيل، كواليس مربدية